تردى الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء قوله عز وجل والذين
كذبوا باياتنا يعني بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كذبوا بحجج الله وادلته على توحيده
صم يعني لاسماع الحق بكم يعني عن النطق به والمعنى انهم في حال كفرهم وتكذيبهم كمن لا يسمع
ولا يتكلم ولهذا شبه الكفار بالموتى لان الميت لا يسمع ولا يتكلم في الظلمات يعني في ظلمة الكفر
حائرين مترددين فيها لا يهتدون سبيلا من يشإ الله يضلله يعني عن الايمان ومن يشأ يجعله
على صراط مستقيم يعني ومن يشأ يجعله على دين الاسلام وفي هذا دليل على ان الهادي والمضل
هو الله تعالى فمن احب هدايته وفقه بفضله واحسانه للايمان ومن احب ضلالته تركه على كفره
وهذا عدل منه لانه تعالى هو الفاعل المختار لا يسأل عما يفعل وهم يسألون قوله تعالى قل ارأيتكم
يعني قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين تركوا عبادة الله عز وجل وعبدوا غيره من الاصنام اخبروني
تقول العرب ارأيتك يعني اخبرني عن حالك واصله ارأيتم والكاف فيه للتأكيد ان اتاكم عذاب
الله يعني قبل الموت مثل ما نزل بالامم الماضية الكافرة من الغرق والخسف والمسخ والصواعق ونحو
ذلك من العذاب او اتتكم الساعة يعني القيامة اغير الله تدعون يعني في كشف العذاب
عنكم ان كنتم صادقين يعني في دعواكم ومعنى الآية ان الكفار كانوا اذا نزل بهم شدة وبلاء رجعوا
الى الله بالتضرع والدعاء وتركوا الاصنام وقيل لهم اترجعون الى الله في حال الشدة والبلاء ولا تعبدونه
ولا تطيعونه في حال اليسر والرخاء بل اياه تدعون يعني بل تدعون الله ولا تدعون غيره في كشف
ما نزل بكم فيكشف ما تدعون اليه ان شاء يعني فيكشف الضر الذي من اجله دعوتموه وانما
قيد الاجابة بالمشيئة رعاية للمصلحة وان كانت الامور كلها بمشيئة الله تعالى وتنسون ما
تشركون يعني وتتركون دعاء الاصنام التي تعبدونها فلا تدعونها لعلمكم انها لا تضر ولا تنفع
وقيل معناه في تركهم دعاء الاصنام بمنزلة من قد نسيها وهذا معنى قول الحسن كانه قال وتعرضون عنها
اعراض الناسي لها قوله تعالى ولقد ارسلنا الى امم من قبلك يعني في الآية محذوف والتقدير ولقد
ارسلنا الى امم من قبلك يا محمد رسلا فخالفوا وكفروا وحسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامع
فاخذناهم بالبأساء يعني بالفقر الشديد واصله من البؤس وهو الشدة والمكروه وقيل البأساء
شدة الجوع والضراء يعني الامراض والاوجاع والزمانة لعلهم يتضرعون يعني يخضعون ويتوبون
والتضرع التخشع والتذلل والانقياد وترك التمرد واصله من الضراعة والذلة ومقصود الآية
ان الله تعالى اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انه قد ارسل من قبله رسلا الى اقوام بلغوا في القسوة الى ان
اخذوا بالبأساء والضراء وهي الشدة في النفس والمال فلم يخضعوا ولم يتضرعوا وفيه تسلية للنبي صلى
الله عليه وسلم فلولا يعني فهلا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي التضرع فلم يتضرعوا
ولكن قست قلوبهم يعني ولكن غلظت قلوبهم فلم تتضرع ولم تخشع بل اقاموا على
كفرهم وتكذيبهم رسلهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون يعني من الكفر والتكذيب
وتزيين الشيطان اغواؤه لما في المعصية من اللذة قال ابن عباس يريد زين الشيطان الضلالة
التي كانوا عليها فاصروا على معاصي الله عز وجل قوله عز وجل فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا
ما وعظوا به وقيل تركوا العمل بما امرتهم به الرسل وانما كان النسيان بمعنى الترك لان التارك للشيء
معرض عنه لانه قد صيره بمنزلة ما قد نسي فتحنا عليهم ابواب كل شيء يعني بدلنا مكان
البأساء الرخاء والسعة في الرزق والعيش ومكان الضراء الصحة والسلامة في الابدان والاجسام
والمعيشة وظنوا ان ما كان نزل بهم من الشدة لم يكن انتقاما من الله تعالى فلما فتح الله عليهم
ما فتح من الخير والسعة فرحوا به وظنوا ان ذلك باستحقاقهم وهذا فرح بطر كما فرح قارون
بما اوتي من الدنيا اخذناهم بغتة يعني جاءهم عذابنا فجأة من حيث لا يشعرون

قال الحسن

٣٠١

قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال اهل المعاني انما اخذوا في حال الرخاء والسلامة ليكون اشد
لتحسرهم على ما فاتهم من السلامة والعافية والتصرف في ضروب اللذة فاخذناهم في آمن ما كانوا واعجب
ما كانت عليهم فاذا هم مبلسون اي آيسون من كل خير وقال الفراء المبلس اليائس المنقطع رجاؤه
ولذلك يقال لمن يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون له جواب قد ابلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحزن
والحسرة وقال ابو عبيدة المبلس النادم الحزين والابلاس هو الاطراق من الحزن والندم روى عقبة بن عامر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك
استدراج ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به الآية ذكره البغوي بغير سند واسنده الطبري وقوله فقطع
دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم الذين يدبرهم يقال دبر فلان القوم اذا كان آخرهم والمعنى
انهم استؤصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية والحمد لله رب العالمين قال الزجاج حمد الله نفسه
على ان قطع دابرهم لانه نعمة انعم الله بها على الرسل الذين ارسلوا اليهم فكذبوهم فذكر الحمد تعليما للرسل
ولمن آمن بهم ليحمدوا الله على كفايته اياهم شر الذين ظلموا وليحمد محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ربهم
اذا اهلك المشركين المكذبين به وقيل معناه الثناء الكامل والشكر الدائم لله رب العالمين على انعامه على
رسله واهل طاعته باظهار حججهم على من خالفهم واهلاك اعدائهم واستئصالهم بالعذاب قوله تعالى
قل ارأيتم اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين ان اخذ الله سمعكم يعني الذي تسمعون به فاصمكم حتى
لا تسمعوا شيئا وابصاركم يعني واخذ ابصاركم التي تبصرون بها فاعماكم حتى لا تبصروا شيئا اصلا وختم
على قلوبكم يعني لا تفقهوا شيئا اصلا ولا تعرفوا شيئا مما تعرفون من امور الدنيا وانما ذكر هذه الاعضاء
الثلاثة لانها اشرف اعضاء الانسان واذا تعطلت هذه الاعضاء اختل نظام الانسان وفسد امره وبطلت
مصالحه في الدين والدنيا ومقصود هذا الكلام ذكر ما يدل على وجود الصانع الحكيم المختار وتقريره ان
القادر على ايجاد هذه الاعضاء واخذها هو الله تعالى المستحق للعبادة لا الاصنام التي تعبدونها وهو
قوله تعالى من اله غير الله يأتيكم به يعني بما اخذ الله منكم لان الضمير في به يعود على
معنى الفعل ويجوز ان يعود على السمع الذي ذكر اولا ويندرج تحته غيره انظر الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم ويدخل معه غيره اي انظر يا محمد كيف نصرف الآيات اي كيف نبين لهم العلامات الدالة على
التوحيد والنبوة ثم هم يصدفون يعني يعرضون عنها مكذبين لها قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب
الله بغتة يعني فجأة او جهرة يعني معاينة ترونه عند نزوله قال ابن عباس ليلا او نهارا هل يهلك
الا القوم الظالمون يعني المشركين الذين ظلموا انفسهم بالشرك قوله عز وجل وما نرسل المرسلين
الا مبشرين يعني لمن آمن بالثواب ومنذرين يعني لمن اقام على كفره بالعقاب والمعنى ليس في ارسالهم
ان يأتوا الناس بما يقترحون عليهم من الآيات انما ارسلوا بالبشارة والنذارة فمن آمن واصلح يعني
آمن بهم واصلح العمل لله فلا خوف عليهم يعني حين يخاف اهل النار ولا هم يحزنون اي اذا حزن غيرهم
والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب يعني يصيبهم العذاب بما كانوا يفسقون يعني بسبب
ما كانوا يكفرون ويخرجون عن الطاعة قوله تعالى قل لا اقول لكم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني
قل لهؤلاء المشركين لا اقول لكم عندي خزائن الله نزلت حين اقترحوا عليه الآيات فامره الله تعالى
ان يقول لهم انما بعثت بشيرا ونذيرا ولا اقول لكم عندي خزائن الله جمع خزانة وهو اسم للمكان
الذي يخزن فيه الشيء وخزن الشيء احرازه بحيث لا تناله الايدي والمعنى ليس عندي خزائن رزقه فاعطيكم
منها ما تريدون لانهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من الله فاطلب منه
ان يوسع علينا عيشتنا ويغني فقرنا فاخبر ان ذلك بيد الله لا بيده ولا اعلم الغيب يعني
فاخبركم بما مضى وما سيقع في المستقبل حتى تستعدوا لتحصيل المصالح ودفع المضار واجابهم
بقوله ولا اعلم الغيب فاخبركم بما تريدون ولا اقول لكم اني ملك وذلك انهم قالوا ما لهذا

وذلك انهم قالوا [illegible]

Copyright © ... University